ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Historical Figures in the Novels of Mohammed bin Saif Al Rahbi

Hussein Ali Mahdi Musa

Kirkuk Directorate of Education

Ibrahim Mustafa Hamad

Tikrit University
College of Education for Human Sciences

* *Corresponding author: E-mail* :
ha240181ped@st.tu.edu.iq

Keywords:
Historical Figures,
Historical Novel,
Al Rahbi,
Narrative Discourse,
Character Construction,
Novels.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	3 Feb 2026
Received in revised form	25 Mar 2026
Accepted	27 Mar 2026
Final Proofreading	31 July 2026
Available online	31 July 2026

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

This study aims to examine the presence of historical figures in the novels of Mohammed bin Saif Al Rahbi and to analyze their roles and functions within the narrative structure. Al Rahbi draws upon figures from the past and recontextualizes them within a contemporary fictional framework, thereby enriching the text with deeper layers of meaning and enhancing the reader's engagement with the narrative.

The study explores a selection of narrative models in which these figures appear, analyzing their representation in terms of psychological, social, and intellectual dimensions. It also discusses the relationship between history and imagination in Al Rahbi's works, as well as the extent to which he adheres to historical facts or reinterprets them in accordance with his artistic vision.

The study concludes that historical figures in Al Rahbi's novels are not merely employed as documentary elements; rather, they function as dynamic tools for addressing contemporary issues and for re-reading history from a critical and humanistic perspective.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.33.7.2.2026.3

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

الشخصيات التاريخية في روايات محمد بن سيف الرحبي

حسين علي مهدي موسى/ مديرية تربية محافظة كركوك

إبراهيم مصطفى حمد/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة:

يهدف هذا البحث إلى استقصاء حضور الشخصيات التاريخية في روايات الرحبي، وتحليل آليات توظيفها داخل البناء السردي، بوصفها عنصرًا فنيًا وفكريًا يسهم في تشكيل دلالات النص الروائي. إذ يسعى الرحبي من خلال استحضار شخصيات تاريخية من عصور مختلفة إلى إعادة قراءتها وتأويلها ضمن سياق معاصر، بما ينسجم مع تحولات الوعي الثقافي والاجتماعي. ولا يقتصر هذا التوظيف على الجانب

التوثيقي، بل يتجاوز ذلك ليُسهم في بناء خطاب روائي يعالج قضايا راهنة مثل الهوية، والسلطة، والذاكرة، والصراع الحضاري.

ويعتمد البحث على منهج تحليلي نقدي، يركّز على دراسة نماذج مختارة من روايات الرحبي، مع تتبع كيفية بناء الشخصيات التاريخية من حيث أبعادها النفسية والاجتماعية والفكرية، فضلًا عن تحليل علاقتها ببنية السرد وتقنيات التخييل التاريخي. كما يتناول البحث إشكالية العلاقة بين الحقيقة التاريخية والخيال الروائي، من خلال الكشف عن حدود الالتزام بالوقائع التاريخية، ومدى انفتاح النص على إعادة صياغتها بما يخدم الرؤية الفنية للكاتب.

ويخلص البحث إلى أن الشخصيات التاريخية في روايات الرحبي تؤدي دورًا محوريًا في إنتاج المعنى، حيث تتحول إلى وسائط فنية لإعادة مساءلة الماضي واستحضاره في ضوء الحاضر. كما تُسهم هذه الشخصيات في تعزيز العمق الدلالي للنص، وتفتح آفاقًا تأويلية متعددة أمام القارئ، مما يمنح الرواية بعدًا فكريًا وجماليًا متميزًا ضمن سياق الأدب العربي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الشخصيات التاريخية، الرواية التاريخية، الرحبي، السرد الروائي، بناء الشخصية، المرجعيات.

المقدمة:

تُعدّ الرواية التاريخية من أهم الأجناس الأدبية التي استطاعت أن تُقيم جسراً حيوياً بين الماضي والحاضر، إذ لا تكتفي بسرد الوقائع التاريخية، بل تعمل على إعادة تشكيلها ضمن رؤية فنية تستحضر أبعادها الإنسانية والفكرية. ومن خلال هذا التفاعل الخلّاق بين التاريخ والخيال، تتحول الرواية إلى فضاء تأويلي يعيد قراءة الأحداث والشخصيات وفق منظور معاصر، يراعي تحولات الوعي الثقافي والاجتماعي.

وفي هذا السياق، برزت أعمال الرحبي بوصفها نموذجًا لافتًا في توظيف التاريخ داخل البناء الروائي، حيث لم يكتفِ باستحضار الشخصيات التاريخية بوصفها عناصر توثيقية جامدة، بل عمل على إعادة إحيائها ومنحها أدوارًا ديناميكية تتجاوز حدود الزمن الذي تنتمي إليه. فالشخصيات التاريخية في رواياته تتحول إلى أدوات فكرية وجمالية، تُسهم في طرح قضايا معاصرة، مثل الهوية، والسلطة، والذاكرة، والصراع الحضاري، مما يمنح النص الروائي بعدًا دلاليًا عميقًا.

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى استكشاف آليات توظيف الشخصيات التاريخية في روايات الرحبي، والكشف عن طبيعة العلاقة بين المرجعية التاريخية والبناء السردي. كما يحاول البحث الإجابة عن جملة من الإشكاليات، من أبرزها: كيف يعيد الرحبي تشكيل الشخصية التاريخية داخل النص الروائي؟ وما حدود التداخل بين الحقيقة التاريخية والخيال الفني؟ وهل تُستخدم هذه الشخصيات بوصفها غاية في ذاتها، أم كوسيلة لطرح رؤى فكرية معاصرة؟

كما يهدف هذا البحث إلى تحليل الأبعاد الفنية والفكرية التي تكتسبها الشخصيات التاريخية في هذا السياق، من خلال دراسة نماذج مختارة من روايات الرحبي، مع التركيز على تقنيات السرد، وبناء الشخصية، وآليات التخييل التاريخي. وسيعتمد البحث في ذلك على منهج تحليلي نقدي، يستند إلى مفاهيم السرديات الحديثة، ونظريات التناص، والتخييل التاريخي، بما يتيح قراءة معمقة لهذا النوع من الكتابة الروائية.

وعليه، فإن دراسة الشخصيات التاريخية في روايات الرحبي لا تقتصر على استحضار الماضي، بل تتجاوز ذلك إلى مساءلته وإعادة تأويله، بما ينسجم مع إشكاليات الحاضر وتحدياته، وهو ما يجعل هذا الموضوع مجالًا خصبًا للبحث الأكاديمي والنقدي.

المبحث الأوَّل

الشخصيات التاريخية

إنَّ استدعاء الشخصيات التاريخية في روايات الرحبي تعد أحد أهمِّ أشكال الإشتغال السردي، التي جسَّدت فاعلية كبيرة في إعادة بناء الذاكرة الجمعية، إذ جاء ضمن هذا السياق استدعاء الشخصيات التاريخية بوصفها أداوت فنيَّة وخطابية، وقد ((استعان الكاتب في تقوية نصوصه الابداعية بالمضامين التراثية)) (عبدالرحمن، نصير عبد الحي محمد، ٢٠٢٥م، صفحة ٦٩)، أسهمت في خلق جوٍّ حواريٍّ بين الماضي والحاضر، ((فهي كلُّ مشارك في الأحداث سلباً أو إيجاباً، اما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي الى الشخصيات، بل يكون جزءًا من الوصف، فالشخصية عنصر مصنوع مخترع من عناصر الحكاية، ويصوِّر أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها)) (زيتوني، لطيف، ٢٠٠٢م، الصفحات ١١٣ – ١١٤)، إذ ظهر هذا الاستدعاء ليس كحالة سردية توثيقية، بل كإجراء يعيد مساءلة التاريخ، ويمنح العملية السردية طابعاً معرفياً وأيديولوجياً ،فالشخصية التاريخية هي الشخصية ذات الشأن والمكانة في التاريخ السياسي والثقافي أو الدِّيني، فقد وظَّف الكثير من الكتاب ((الشخصيات التاريخية في النصوص السردية ، مضيفاً عليها خياله ورؤاه الفنية والثقافية)) (سليماني، فاطمة، ٢٠١٢م، صفحة ٣٧)، إذ يمكن استحضار التاريخ من خلالها كصورة لإظهار أزمات الحاضر، وبشكل خاصٍّ ما يتعلق بالسلطة السياسية والاجتماعية، والتشظِّي الثقافي.

تعد الشخصيات التاريخية أدوات جمالية، لها أبعادها الخاصة داخل النصِّ الرِّوائيِّ، إذ تقوم بتفكيك السرديات، التي غالباً ما تعيد كتابة التاريخ بشكل مغايرٍ لما تروج له الكتب ووسائل الإعلام الرَّسميَّة، كما تقوم الشخصيات التاريخية بدمج الأحداث التاريخية ضمن نسيج لغويٍّ وسرديٍّ جديد، وهذا ما أعطاها عمقاً أدبياً، ((ككائنٍ موهوبٍ بصفات بشرية، وملتزمة بأحداث بشرية)) (برنس، جيرالد، ٢٠٠٣م، صفحة ٤٢)، يثير استدعاء الشخصيات التاريخية في العمل الروائي أسئلة منها: هل يسمح للروائيِّ اختراع الشخصية الحقيقية؟ يرى بعض النُّقَّاد أنَّ الرواية لا يمكن توثيقها بل يمكن تأويلها، لأنَّ دورها ليس إعادة سرد ما كان، بل ما كان يمكن أن يكون، فالمؤرِّخ يلتزم بالحقيقة والوثيقة، في حين أنَّ الروائيِّ يلتزم بالحقيقية الأدبية، وهذا ما يفسح لخلق مجال خصب لإعادة التفكير في الشخصيات التاريخية كمكونات ثقافية لا كأيقونات ثابتة (ينظر: القاعود، حلمي محمد، ٢٠١٠م، صفحة ٢٦).

كما ان ((النص الأدبي نص كثير الموارد، لا يسقى من منبع واحد، بل يسقى من موارد ثقافية وأدبية وتاريخية ودينية متعددة تبعاً لمصادر ثقافة الأديب)) (أسعد، أ.م.د. نرجس خلف ، ٢٠١٨، صفحة ٢).

وقد وظَّف الكاتب الشخصيات العربية التاريخية في رواياته:

- **الشخصيات العربية التاريخية :**

إنَّ الشخصية العربية برزت في تاريخها كله بصفات الكرم والشجاعة والشهامة والنخوة وغيرها من الصفات الحميدة كالوفاء بالعهود وحماية الذمار ثم المناداة الى النجدة والدفاع عن المظلوم ، وقد أولى العديد من الروائيين العرب اهتماماً خاصًّا بهذا النوع من الشخصيات ولا سيما الرحبي، حيث برز اهتمامه بالتاريخ العماني وشخصياته البارزة، مستحضراً تلك الشخصيات ضمن حبكات سردية تحاور الماضي وتستنطق الحاضر، وتسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على كيفية توظيف الشخصيات التاريخية العربية في رواياته لاستكشاف أبعاد التوظيف ودلالاته الفكرية والفنية، وعلاقته بالتاريخ والهوية (ينظر: الجندي، انور، د.ت، صفحة ٣).

تلعب الشخصيات التاريخية دوراً محورياً في روايات الكاتب، ((فهي عنصر محوريٌّ في كلِّ سرد بحيث لا يمكن تصوُّر رواية من دون شخصيات)) (عبودي، نبيلة؛ مبارك، خلود، ٢٠٢٣م، صفحة ٩)، وذلك مهمُ لإعادة بناء الوعي، ومساءلة التاريخ، وفهم التحولات السياسية والثقافية ، ومن هذه الشخصيات التي ذكرها الكاتب شخصية **الامام عزان بن قيس** ، مثلما نجد في المثال الآتي:

((تتوق نفسي إلى الرستاق وإلى زمن الإمام عزان رحمه الله يا عبد الله، كان الإمام عزان يدخل على الطلبة، بصفاء نفسه ونقاء سريرته، هاشاً باشاً يحمل في يديه بعض الفواكه ليدخل السرور عليهم، ويحفز الدارسين على طلب العلم ينشدون كرمه وكرامته)) (الرحبي، محمد بن سيف، ٢٠٢٣م، الصفحات ٣٣ – ٣٤).

يتخذ النصُّ شكلاً سردياً قصيراً بناه الكاتب على التَّذكُّر والحنين، حيث بدأ نصَّه بجملة وجدانية، انفتحت على فضاء من فضاءات الحنين، وقد مثَّلت مدخلاً إلى استحضار ماضٍ مضيء من وجهة نظر المتحدِّث لذلك فانَّ ((للسرد أضواء تنعكس خلال بؤرة العمل الأدبي وهذه الأضواء تتشكل بمعرفة المؤلف ما قبل الكلام حتى يتسنى له اعطاء صورة جمالية بين الحين والآخر للعمل الأدبي بشكل عام وللرواية بشكل خاص)) (السنعوسي، سعود عبدالعزيز محمد، ٢٠٢٢م، صفحة ١٤١) ، وهو من سمات السرد الذاتي، حيث تتداخل الأبعاد الذاتية والشخصية والتاريخية بالبعد العاطفي، كما تتجه اللغة في النصِّ السرديّ نحو البساطة والعاطفة، من خلال استخدام ألفاظ ذات دلالات إيجابية "بصفاء نفسه ونقاء سريرته"،" هاشًّا باشاً" تلك الكلمات وغيرها، ممَّا ورد في النصِّ خلقت جواً وجدانياً معبراً عن فقدان الواقع الحالي لصفاء الماضي.

مثَّلت شخصية الإمام عزان نموذجاً تاريخياً ودينياً، ففي((اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة تمت مبايعته في قصر الشجر بمسقط ، وهو لم يتجاوز السابعة والعشرين من العمر، وهو شاب في مقتبل العمر ذو شجاعة وعفة وتقى وزهد باع نفسه لدينه وأمته)) (الطائي، عبدالله بن محمد، ٢٠٠٨م، صفحة ١٥٤)، فقد جاء توظيف هذه الشخصية بصفتها التاريخية ذات الرمزية الأخلاقية والروحية، فهو لا يظهر كقائد سياسيٍّ فحسب

وإنَّما كراعٍ للعلم والعلماء، جامع بين الرعاية الروحية والجسدية أسست هذه الشخصية المفعمة بالتواضع والبذل حضوراً فنِّيًا، وأضفت على العملية السردية طابعاً مثالياً، بل وتستثمر في الرمز الديني والتاريخي، فاستدعاء شخصية الإمام عزان ليس فقط استدعاء لحقيقة تاريخية ، بل استدعاء لمثال مفقود.

أمَّا من ناحية الزمان فقد أشار إلى زمن الإمام الذهبيّ الذي يحمله السارد في ذاكرته، حيث أشار إلى رمزية هذا الزمن الماضي الذي يقارنه بالحاضر فيظهر فيه السارد مثقلاً بالهموم والخيبات والفقد، أمَّا المكان "الرستاق" فهو ذو دلالة ثقافية وتاريخية واضحة في الذاكرة العُمانية، حيث ارتبط هذا المكان بمقام الامامية ومجالس العلم والفقه، يبدو ان استحضار هذا المكان في النصِّ السرديّ يعد إشارة الية بوصفه فضاءً للعلم والتواصل الإنساني ومجتمع فاضل يحتفي بالعلماء وطلبة العلم، يقدِّم هذا النصُّ السردي نموذجاً غنياً للتعبير عن الحنين إلى زمن الفضيلة والمثال، من خلال استحضار شخصية، وتأثيرها في النصِّ السرديّ، وهذا الاستحضار تجاوزت مهمَّته التوثيق التاريخيّ، فالبنية السردية تتلاحم مع العناصر الزمانية والمكانية ، لتنتج دلالة ذات طابع وجدانيٍّ تعبِّر عن خيبة الحاضر بمرآة الماضي.

تعد الشخصية التاريخية من أبرز الأدوات الفنيَّة التي يوظِّفها الكاتب في النصِّ الروائيّ لبناء دلالات تتجاوز حدود السرد، كونها ((مركبة من عناصر مختلفة هي اللغة والحيز والزمان، وهي التي تشكل النصّ المسرود الذي ترويه الشخصية بشكل غير مباشر أو يقدمه المؤلف بشكل غير مباشر)) (مرتاض، عبد الملك، ١٩٩٨م، صفحة ٢٣٥)، كما يمكن توظيفها للمساعدة في إعادة تأويله في ضوء الحاضر، والتعبير من خلالها عن معظم القضايا الإنسانية، لتغدو الشخصية صورة تعكس تطلعات الأنا الجمعي وتصبح محور العناصر السردية، والسارد عكس هذه النظرة من خلال توظيفه شخصية **عبدالله بن حميد السالمي** في نصه الروائي قائلاً:

((كان الرجل ذو القامة المربعة، وبلحيته المدورة حول وجه لوَّحته الشمس فزادته اسمراراً وحدَّة، وعليه آثار جدري مسَّه قبل سنوات قلائل، شارف به على الموت لولا أن القدر أراده لأمر آخر، يمضي بسكينة لا يقطعها سوى رفعة الصوت أحياناً بالتكبير والتسبيح، فيرتدُّ الصدى في القلوب المعلقة أرواحهم بها، يسيرون بين يدي الإمام الشيخ بوجوه تبدو في العتمة مثلثة متصالبة كأنَّ ذقونها جزء من تراكيبها)) (الرحبي، محمد بن سيف، ٢٠٢٣م، الصفحات ١١ – ١٢).

في هذا المقطع السردي جاء السارد واصفا ملامح شخصية الشيخ عبدالله بن حميد السالمي، باعتبارها من الشخصيات الجليلة في المجتمع العماني، لما يتمتع به من علم وثقافة واحترام لدى مريديه، وهو ((الإمام عبدالله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس السالمي، والسالمي نسبة إلى سالم بن ضبة بن أدّ بن طابخة" عمرو" بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان)) (السالمي، الإمام نور الدين عبد الله بن حميد، ٢٠١٠م، صفحة ١/ ٧) يبدأ الكاتب النصُّ بأسلوب وصفي كثيف قائم على التراكم للشخصية المحورية "الرجل ذو القامة المربعة" وهذا وصف يستند إلى تقنية الكاميرا الأدبية ، إذ تم رسمها عبر تفاصيل مختلفة، ساهمت في خلق صورة جمالية ومعنوية معاً ، كما ساهمت تلك الشخصية في خلق آلية الحوار الداخلي او إطلاق منولوجات داخلية مستخدماً ضمائر اللغة لسرد أحاسيس دفينة ، وهنا استند الكاتب على الجمل الطويلة ذات التراكيب المتداخلة وهذا ما يؤشر إلى الحالة التأمُّلية البطيئة، وكأنَّ الزمن داخل النصِّ السرديّ لا يسير وفق إيقاع الحياة العادية، بل يتكثَّف حول شخصية الإمام التي تعكس هيبتها على المكان،. فقد جاءت الوقفة الوصفية لتعطيل

الزمن اي ((تعليق مجرى القصة لفترة قد تطول او تقصر)) (البحراوي، حسن، ١٩٩٠م، صفحة ١٧٥)، فالصراع مع الموت برزت ملامحه من خلال الآثار التي تركها مرض الجدري على ملامح الإمام، وأظهرت عمق الإيمان الذي اتخذه الإمام سلاحاً لمقارعة هذا المرض ممَّا أضفى عليه مسحة إيمانية عميقة، فالتكبير والتسبيح عنصران إيمانيان أضفيا بعداً روحياً يوحي بأنَّ الإمام يحمل رمزية دينية وهو موضع إجماعٍ، وهذه الرَّمزيَّة تتجاوز حدود الجسد والمكان.

شكَّل استدعاء شخصية الإمام عبدالله بن حميد دلالة رمزية على الموقع الديني في قلوب مريديه، حيث لعب دوراً تاريخياً محورياً خاصة في فترات المقاومة والنهضة، كونه كائناً موهوباً وملتزماً بسلوكياته وأبعاده الشخصية، وهذا ما يحيلنا إلى استذكار شخصيات تاريخية أخرى، بصيغتها الرمزية التي تربط القيادة الروحية بالصمود الجسدي، وبذلك تصبح الشخصية محورية بوصفها تمثِّل قيماً كبرى كالزهد والثبات، وهذا النوع من التوظيف أضفى على السرد عمقاً تأويلياً تربط بين الماضي واللحظة السردية.

كما شكَّل الزمان عنصراً مبهماً في مظهره ، لكنه حاضر في بعده الشعوريّ، فهو لا يحدِّد للكاتب وقتاً دقيقاً غير أنَّه يحدِّد إشارات ضمنية، تدل على الزمن النفسيّ ((وهو الزمن الذي يصعب قياس مدته المعلومة، فقد يطول أو يقصر بحسب الحالة النفسية التي عليها الشخصية)) (يوسف، امنه، ٢٠١٥م، صفحة ٩٩)، وليس زمناً واقعياً، بل هو زمن تأمُّليّ ينتمي إلى ما يسمى بالزمن الروحي، إذ تتداخل لحظات الموت والحياة، والحركة والسكون، أمَّا المكان فهو أيضاً لم يكن محدَّداً من الناحية الجغرافية، غير أنَّه مشبع بالرمزية كقوله: "الصدى، العتمة، القلوب المعلقة". وهذه إشارات توحي بأنَّ المكان ليس مجرد ساحة فيزيائية، بل هو فضاء شعائريٌّ للروحانية والنجاة، فقد مثَّل النصُّ نموذجاً سردياً غنياً بالرموز والدلالات، إذ تمَّ توظيف الشخصية التاريخية في قلب التجربة السردية ككائن حيٍّ في الوعي الجمعي، كما تمَّ توظيف الزمان والمكان كعنصرين داخليين يتفاعلان مع السياق النفسي والروحي للشخصية أكثر من كونهما معطيات خارجية، وبهذه العناصر مجتمعة يصبح النصُّ شهادة على أنَّ الشخصيات ذات شهرة تاريخية لا يخلدها التاريخ فقط، بل تخطها الأرواح في طيات الذاكرة الجمعية، تتحوَّل الرواية إلى فضاء نقديٍّ قادر على مساءلة الذاكرة، وتفكيك السلطة وتوسيع أفق التَّأويل، من خلال تعليق ((التأويل ببنيته داخل جملة العلاقات التي تكونه وتصرفه إلى معنى ما)) (أحمد، مداس، ٢٠٠٩م، صفحة ١٠)، اذ جاءت روايات الكاتب لمقاربة تلك الشخصيات التاريخية، بين تأثير كل من شخصية **حسن البنا وسيد القطب** في النص السردي وقد أشار السارد الى ذلك قائلاً :

((كانت لحظة فارقة مشيت خطوي باتجاه الريح، لا شيء في الأفق إلا نفسي، باغتني عبد الله، أدخلني المسجد، استمعت إلى الدرس الذي كان عن دور الإيمان في صفاء النفوس، كنت أبحث عن الصفاء المفتقد، أعطاني عبد الله مجموعة مؤلفات سيد قطب ومذكرات مطبوعة لحسن البنا، داومت على قراءتها، أعجبتني لغة سيد قطب الفكرية والبناء العام لشخصية البنا)) (محمد بن سيف، الرَّحبي، ٢٠١٧م، الصفحات ١٠٨ – ١٠٩).

مثَّل النصُّ لحظة تحوُّلٍ داخلية في وجدان الراوي، حيث اختلطت فيها العزلة بالبحث عن الذَّات، كما اختلط الضياع بالسعي نحو الصفاء الرُّوحيّ، ومن داخل هذا التَّوتُّر الوجوديّ ظهرت شخصيات مستوحاة من التاريخ القومي الاسلامي ، وهما "سيد القطب وحسن البنا" ساروا على نهج واحد في الدفاع عن العروبة والاسلام ، إذ انهما يلتقيان في ((ضرورة اقامة منهج الله في الارض وتبنّيه من خلال دولة، تنفذ احكام الشرع ثم تحمي حمى

الإسلام ودعاة الإسلام ، وتغزو كل جبار عنيد)) (ابو الفارس، الدكتور محمد عبدالقادر، ١٩٩٩م، صفحة ٤٩)، فالشخصية التاريخية بما تحمله من قيم ومواقف وتجربة تتحوَّل في المخيلة الجمعية إلى رمز يتخطى الزمان والمكان، لتغدو ملاذاً روحياً للتَّحوُّل الداخلي، وتصبح جسراً بين الماضي والحاضر، بل وتكتسب معناها من الأثر الذي تتركه في الحاضر، وهكذا يوظف الكاتب الشخصيات الروائية الرمزية ذات أدوار الفاعلة ، وكأنها ممثل يؤدِّي دوراً ،إلاَّ أنَّها أصبحت مكاناً للثقة عندما يشير السارد إلى مؤلفات سيد قطب، ومذكرات حسن البنَّا، فأضحت مشروعاً توجيهياً للآخر لبناء الذات ولحظة انتقال من التجربة العاطفية إلى التجربة التَّأمُّلية المعرفية، إذ شكَّلت شخصية من" حسن البنَّا وسيِّد قطب" ظاهرة تؤدِّي دوراً مركزياً في توجيه البطل نحو مسار فكريّ وروحيّ جديدين، شكَّلا منعطفاً حاسماً في حياته، كما رسم النصُّ ملامح الضياع الداخلي وفقدان البوصلة، من خلال انعدام الاتجاه وكأنَّ الذات تسير بشكل عشوائيّ دون هدف.

انطلاقاً من هذه الحالة يتدخل عبدالله ليقوده إلى المسجد في لحظة تبدو أشبه بالصحوة الأولى أو نقطة تحوُّلٍ إذ عكست عالماً من الأحداث والعلاقات الواسعة والمغامرات المثيرة والغامضة، وتكمن هنا ثقافات إنسانية وأدبية مختلفة ، ليتكشَّف من خلالها مسار التَّحوُّل الذَّاتيّ لدى السارد، وذلك من حالة الاغتراب والضياع إلى لحظة وعي وتوجيه، من خلال شخصيات تاريخية ذات عمق فكري وديني ، إذ يستمع لدرس عن دور الإيمان في صفاء النفوس، وهي فكرة مركزية تعبِّر عن التوازي بين حاجة داخلية تنتظر جواباً عن المعاني الرُّوحيَّة، وحاجة خارجية نحو فضاءات هذه المعاني، هذا التلاقي بين الحاجة والجواب مهَّد للتلاقي والدخول في عالم جديد عالم يتوسَّطه نتاج فكريٌّ روحيٌّ لشخصيتين محوريتين في الفكر الإسلاميّ الحديث (ينظر: راغب، د.نبيل، د.ت، الصفحات ٤٥ – ٤٦)، يتحدَّث الراوي عن سيد قطب، فهو يشير بلغة الإعجاب للغته الفكرية، وهذا يشير إلى أنَّ التأثير الذي مارسه سيد قطب كان تأثيراً عقلياً وفلسفياً، حيث امتزجت فيه الرؤية العقائدية بالتجربة الجمالية، كما تناول سيد قطب قضايا العقيدة والمجتمع والفرد، إذ تمكَّن من مخاطبة عقل السارد ووجدانه، وذلك عبر بنية لغوية متينة، وأفكار فلسفية تحمل بعداً تحليلياً عميقاً، فالإعجاب هنا لا يمكن فصله عن الدهشة الفكرية التي تولدها نصوص سيد قطب، وما تفتحه من آفاق معرفية وتأمُّلات عقدية وسياسية خاصَّة في مؤلفاته.

أمَّا حسن البنَّا، فقد أشار السَّارد إلى أنَّه أعجب بالبناء العام لشخصيته، هذا النوع من التعابير كشف عن نوع آخر من التَّأثير لا يقوم على اللغة أو التفكير المجرَّد، بل على الكاريزما، وعلى السلوك والتطبيق العملي و على النموذج القياديّ، اذ مثلت شخصية حسن البنا جانباً بنائياً وتنظيمياً، من خلال القدرة على التوجيه والقيادة، والتأثير على الجماهير، وهذا يدل على رغبة داخلية للانتماء إلى مشروع جماعيّ يكون عوناً للفرد من أجل النهوض ((ووجوب أن تكون مرتبطة بالحياة، لكنها ليست صورة بل انطباع أو تعبير عما يجري فيها من تحولات)) (لأشلم، حسن أحمد علي، ٢٠٠٦م، صفحة ٤٤). حيث يتجهون بوجدانياتهم نحو تلك الشخصية الرمزية.

فشخصية البنا وتأثيرها ليست مذكرات مطبوعة بل هي تجسيد حيٌّ لفكرة الدَّعوة في شكلها المتكامل المربي والمنظِّم والقائد، فبينما كان سيد قطب يجذب العقل، كان البنَّا يجذب بالقلب والتجربة، حيث أظهر هذا النصُّ التباين بين الشخصيتين والذي انعكس في النصِّ كصورة متكاملة وفكر عميق من جهة، وتجربة قيادية حية من جهة أخرى، وكلاهما ملأ فراغاً في نفس السارد، جاء استدعاء هاتين الشخصيتين في إطار الحاجة السردية

للإحالة التاريخية، ونتيجة الحاجة إلى نموذجين يمثِّل الأول الغذاء الروحيَّ للنفس الإنسانية التواقة، والثاني يمثِّل جانب التأطير ضمن مشروع نضاليٍّ عمليٍّ، إذ أصبحت تلك الشخصيات أداة لتشكيل الهوية الجديدة، ((والتي هي مجموعة من العناصر لا تقتصر بالطبع على تلك المدونة في السجلات الرسمية)) (العربي، عبد القادر، ٢٠٢١م، صفحة ١٠٩)، وإعادة بناء الذات، بل هي مجموعة متكاملة من القضايا الروحية والمادية، فقد كشف النصُّ عن أثر التَّحوُّل المعرفي والروحي الذي يمكن أن تحدثه الشخصيات الفكرية والتاريخية في الإنسان حين يكون في لحظة بحث حقيقية، فقد شكَّلت شخصية عبدالله باباً واضحاً، بينما مؤلفات سيد قطب ومذكرات البنَّا شكلتا الطريق، لتتكامل اللغة مع التجربة، والفكر مع النموذج، وتتشكَّل بذلك نواة التَّحوُّل الذي يقود السارد إلى مسار جديد في حياته.

يعتبر توظيف الشخصيات التاريخية في السرد الأدبي من أبرز تقنيات الكتابة الروائية المعاصرة، والتي تسعى إلى ردم الهوَّة بين المتخيل والواقعي، وبين الشخصي والجمعي، وبين الفرد والذاكرة الوطنية، ممَّا يفتح أفقاً للتَّأمُّل في بنية النصِّ الفنيَّة، وقد أشار السارد الى شخصية تاريخية بارزة في تاريخ عمان وهي شخصية **سعيد بن سلطان** اذ يقول:

((وجاء السلطان فجأة . وعيناي بين فتح وإطباق . قفزتُ واقفاً على قدمي لا أعرف من أمري شيئاً، قال: يا بني لا تخف، ذلك وطن ولدنا في ترابه، وهذا آخر نأكل من خيرات ترابه، ولدت في سمائل، عام ١٢٠٦ للهجرة، ١٧٩١ للميلاد، في العام الذي مرض فيه والدي سلطان بن أحمد، وقادتني أحلامي إلى زنجبار، وليست وحدها إنَّما ما جاورها من بلاد ووهاد)) (الرحبي، محمد بن سيف، ٢٠١١م، الصفحات ٦٥- ٦٦).

يفتتح الكاتب نصَّه السرديّ من بوابة الجملة التكثيفية، وهي جملة مشحونة بالدلالات والإيقاع المفاجئ الذي يربك الراوي ويمكنه قطع استرساله الذهنيّ،((وإيجاز شديد في سرد التفاصيل، ودمج كلِّ ذلك في جوِّ المفارقة)) (إلياس، جاسم خلف، ٢٠١٠م، صفحة ٧٤)، ممَّا يمهد لدخول شخصية لها ثقلها التاريخي، فقد شكلت الجملة التكثيفية" وجاء السلطان فجأة" عتبة سردية تقفز بالقارئ من اللحظة الساكنة إلى لحظة الحدث، كما في هذا المقطع السردي اشارة واضحة لسيرة شخصية السلطان وهو ((سعيد بن سلطان بن احمد بن سعيد البوسعيدي ولد سنة ١٢٠٦ للهجرة في بلدة سمائل وتوفي سنة ١٢٧٣ للهجرة عن عمر يصل الى نحو سبع وستين سنة ، ومات عند انفصاله من مسقط الى زنجبار حيث دفن بها بعد ستة ايام)) (النخلي، حميد بن محمد بن رزيق العبيداني، د.ت، صفحة ٥٤)، هذا ما ذكره ابن رزيق من سيرة هذه الشخصية.

كان للمشهد التصويري دور مهمٌّ في تشكيل الصورة البصرية التي عكست انقساماً داخلياً بين الإدراك الحسيِّ والانفعال الوجداني، كما تعدُّ تقنية فنية لتقريب المشاعر المجردة إلى صور محسوسة ينتقل النصُّ من السرد الخارجي، إلى الحوار الداخلي ذي الطبيعة الرمزية، حيث يعيد تشكيل العلاقة بين الإنسان والأرض من خلال قوله:" يا بني لا تخف ذلك وطن ولدنا في ترابه"، وهنا يحمل الحديث بعداً وطنياً يتجاوز السياق الزمني للشخصية، ويمنحها بعداً إنسانياً وأخلاقياً، كما يشير النصُّ السردي إلى التداخل الزمني الشخصي بين زمن الراوي، والزمن التاريخي الذي يمثله زمن السلطان ممَّا خلق بنية سردية ربطت بين ماضٍ وطنيٍّ عريق، وحاضر سرديٍّ متوتِّر، فالزمن الروائي مثَّل ((صيرورة الأحداث الروائية المتتابعة وفق منظومة لغوية معينة، تعتمد على الترتيب والتتابع والتواتر والدلالة الزمنية بغية التعبير عن الواقع الحياتي المعيش وفق الزمن الواقعي أو

السيكولوجي)) (مبروك، مراد عبد الرحمن، ١٩٩٨م، صفحة ١٠)، لقد عكس هذا التوازي الزمني مهارة فنية في تطويع التاريخ خدمة للبنية السردية، دون الوقوع في شرك التوثيق الجاف، لعبت الشخصية التاريخية في النصِ السرديّ دوراً جوهرياً يتعدَّى الدور والوظيفة الإخبارية لتصبح عنصراً بنيوياً في العمل المعماري السردي، كما أنَّ النصَّ أخذ بعداً ومصداقية تاريخية، وهذا ما يؤكد للمتلقي أنَّ تلك الشخصية ليست محض خيال بل هي شخصية حقيقية تركت أثرها الثقافي والسياسي في المكان الذي قضت فيه فترة زمنية مرتبطة بالحياة، وهي انطباع عمَّا يجري فيها من تحولات، إذ تعدَّى حضورها البعد التاريخي لتأخذ طابعاً رمزياً إيحائيا و جاء حضورها مشبعاً بالرمزية كونها تمثِّل الوطن والحلم والذاكرة، ومن ثم أسلوب الخطاب جمع بين الطابع الأبوي والإرشادي، ممَّا أضفى عليه دفئاً وجدانياً أسس لعلاقة احترام متبادل بين المتلقي والشخصية.

استطاع النصُّ السرديُّ تجاوز بنيته الظاهرة، حيث قدَّم مشهداً أدبياً مكثفاً، التقت العناصر الفنية بالأبعاد التاريخية ضمن توازن دقيق. لقد نجح النصُّ في توظيف الشخصية التاريخية كعنصر حيٍّ داخل النسيج الفنيّ، إذ يحمل في طياته دلالات الهوية والحنين والانتماء، ممَّا أفسح المجال أمامه إلى تشكيل تجربة أدبية ذات عمق إنساني وثقافيٍّ متجذِّر.

يعدُّ التوظيف السردي للشخصيات التاريخية من أبرز آليات التَّداخل بين التاريخ والأدب، إذ يتجاوز الكاتب حدود التوثيق، ليصل إلى المزج بين الحقيقة التاريخية والبناء الجمالي، إذ ارتبط التاريخ بالأدب كونه شكَّل ((تاريخ علومها أو تاريخ ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم ، وهو تاريخ الأمة من الوجهة الأدبية والعلمية)) (ربيع، محمد أحمد، ١٩٩٠م، صفحة ١٥)، إذ يكشف هذا السرد عن البعد الفنيّ الذي يضفي عليه طابع العمق والأصالة، ويمنح الشخصية التاريخية دوراً يتجاوز دورها كشخصية تؤرخ الأحداث والمعلومات، لتشكل محوراً دلالياً ووجدانياً داخل النسيج السردي، وهذا ما يتجلى بوضوح في المقطع الروائي الذي تتصدره شخصية **السيدة موزة**، لتلعب دوراً محورياً في مشهد سياسيٍّ واجتماعي وهذا ما أشار اليه السارد قائلا:

((أخبرني الرجل شديد السواد . وقد كان ممسكاً بكتاب ضخم . أنَّ الطفل لما يبلغ سبع سنين بعد حينما مات أبوه، قالت له عمته، أخت أبيه ، السيدة موزة بنت الإمام أحمد بن سعيد، يا سعيد، إنَّك السلطان صرت، سأحميك من مكائدهم، سأكون أنا مدبرة الأمور وحاميتك ممَّا في الصدور، فاجتمع إليها وزراء الحكم مرغمين، تحاسبهم وترشدهم، تقود الأمر حيث صعب الأمر)) (الرحبي، محمد بن سيف، ٢٠١١م، الصفحات ٦١ – ٦٢)

يعتمد النصُّ بنية سردية مكثفة تتكئ على راوٍ عارف يتخذ موقفاً خارجياً مستنداً على ضمير الغائب في نقل الوقائع والأحداث ((وهو ما يجعل القصة تستحضر عند تحليلها من الفضاء المحذوف، أكثر مما هو حاضر في لغتها ودلالاتها المباشرة، الكائنة في لغتها الحاضرة)) (بوطي، عبد الحميد، ٢٠٢١م، صفحة ٢٦٣٩)، إضافة إلى إدراج كلام الشخصية التاريخية بشكل مباشر ضمن النصِ الروائيّ، ممَّا يمنح النصِ نبرة توثيقية وشحنة انفعالية وجدانية يبدأ النصُّ بمشهد غامضٍ يلفُّه السواد من خلال صورة الرجل الذي يحمل كتاباً ضخماً، وذلك في إشارة رمزية إلى التاريخ، أو الحكمة، أو السجلّ السلطانيّ، إضافة للانتقال إلى مشهد وفاة الأب وتولي السلطة، إذ يعرض المفارقة بين براءة الطفولة ومتطلبات السلطة، كون المفارقة من الدعامات الأساسية للتقنية السردية والتي تمنح القدرة على ((إقامة علاقات ذهنية بين الألفاظ)) (إبراهيم، نبيلة، ١٩٨٧م، صفحة ١٣٢)، لتكون رابطاً معنوياً فيما بينها.

وقد جسدت شخصية السيدة موزة بصفتها الحامية والموجِّهة لهذا التناقض، ولكنَّ تدخلها واحتضانها للطفل ليس من باب القربى كعمة له، ولكن من باب الشرعية التاريخية كونها ابنة الإمام، وهو ما يضفي على حضورها مشروعية مزدوجة؛ مشروعية النسب، ومشروعية الحكمة، تلعب شخصية السيدة موزة دوراً بنيوياً في تماسك النصّ السرديّ، كونها شكلت نقطة التحوُّل التي انتقلت بالأحداث من الفوضى "موت السلطان وغياب القيادة" إلى بداية التوازن وإعادة الاستقرار، كما جسَّدت شخصية المرأة القويَّة ذات الفاعلية السياسية، في تجاوز استثنائيّ للدَّور النمطي الكلاسيكي الذي تلعبه المرأة في السرديات التقليدية،((فالمرور من نقطة الى اخرى في الحكاية يتمُّ وفقاً لجدول من الأحداث يجب تكراره)) (كيليطو، عبد الفتاح، ٢٠٠٦م، صفحة ٤٢)، لذلك جاء السرد تقليدياً، فتدخُّلها القوي والحاسم؛ "سأحميك، سأكون، سأقود" إشارة دالة على فاعلية الذات وقوَّة الشخصية، والثقة بالنَّفس، وليس مجرَّد وصاية عادية، تمثِّل شخصية السيدة موزة الشخصية الفاعلة، التي لعبت دوراً حقيقياً وفاعلا في صناعة الحدث، فهي((صاحبة الرسالة يتوارثها الاجيال جيلاً بعد جيل ونسجت خيوطها من الوفاء وعهدا من الأصالة بل لها دور فعال في مجتمعها ، اذ بقيت وفيةً لمدينتها وحضارتها، فهي مثال للبطولة والشجاعة)) (صياد، نورة، ٢٠١٩م، صفحة ٤٨)، فلم يكن حضورها هامشياً أو في دهاليز الظلِّ وزواياه، حيث مثَّلت الراعي الحارس، والقائد الظل، وهذا ما جعلها تقترب من صورة القائد والوصيّ النبيل، أو الحاكم البديل في ظلِّ غياب السلطان الفعلي، كما مثلت الشخصية المهيمنة على العملية السردية، حيث أنَّ جميع القرارات، والأفعال والتحوُّلات مرتبطة بها، بل وتنطلق من قرارها، وهذا ما يعيد صياغة التاريخ العماني من منظور نسويّ فاعل، مع احتفاظ النصّ بسمته التوثيقية، وتوازنه الموضوعيّ، فقد مثَّل هذا النصُّ نموذجاً غنياً لعملية التفاعل بين التاريخ والسرد، حيث يعاد تقديم الشخصية التاريخية كعنصر حيٍّ في تشكيل البنية السردية والرمزية، قدَّم النصُّ قراءة إنسانية للسلطة، بدأت من الطفولة المهدَّدة وتحققت عبر الحماية الأنثويَّة الحازمة، وهذا ما أعطى للسرد بعداً أخلاقياً وجمالياً معاً.

تعد روايات الرحبي وعاءً غنياً لتحولات الوعي الاجتماعي والسياسي والثقافي العربي الحديث، وقد شكلت الشخصية الروائية أحد أهمِّ المحاور الأساسية في بلورة الوعي من خلال كونها شخصيات مرجعية ((وهي الشخصيات التي تحيل على دلالات وأدوار، وأفكار محددة سلفا في الثقافة والمجتمع بحيث يكون ادراك المتلقي مضامينها ودلالاتها الرمزية مرتبطا بدرجة استيعابيه لهذه الثقافة)) (بو عزَّة، محمد، ٢٠١٠م، صفحة ٦٢)، ومن بين الشخصيات برزت الشخصية التاريخية ككيانٍ سرديّ يتجاوز البعد الجمالي، لتغدو أداة فاعلة في مساءلة التاريخ، إنَّ استدعاء الشخصيات التاريخية في المتن الروائي العماني، يتم من خلال آليات سردية تخضع الحدث التاريخي للتخييل، وقد تجسد ذلك في روايات الكاتب، من خلال توظيفه لشخصية تاريخية نسوية لها صدى في تاريخ عُمان وهي شخصية **شمسة بنت سعيد بن خلفان الخليلي** اذ يقول:

((ويتردد الصدى بين جدران حصن "الرستاق" بصوت شمسة بنت سعيد بن خلفان الخليلي، الأرملة التي تبكي رجلها "لا رجل بعد عزان" وكانت تئنُّ بوجع فقد زوجها الإمام عزان، وأبيها الشيخ سعيد وأخيها محمد)) (الرحبي، محمد بن سيف، ٢٠٢٣م، صفحة ٥٥).

يمثِّل النصُّ مشهداً سردياً تمَّ شحنه من الناحيتين العاطفية والتاريخية،((فهو فعل لا حدود له يتسع ليشمل مختلف الخطابات، فهو حاضر في الحكاية والقصة والملحمة والتاريخ والمأساة والدراما)) (يقطين، سعيد،

١٩٩٧م، صفحة ١٩)، حيث يتمُّ الدَّمج بين الذاتي والوطنيّ، وبين الحزن الخاص، والفقد العام، إذ تتجسَّد فيه شخصية تاريخية محورية هي شخصية الإمام عزان بن قيس، من خلال صوت نسويٍّ صرخت في أروقة التاريخ، من عمق حصن الرستاق.

يتَّسم النصُّ بجمالية سردية عالية بنيت على التفاعل بين كلٍّ من الصوت، والمكان، والذاكرة، فقوله: "يتردد الصدى" يوحي بحضور مستمرٍّ لصوت ماضٍ لا يزال حياً في المكان، وكأنَّ المكان يوحي إلى الذكرى ويحملها من عمق الماضي، إذ يعزز الإهتمام بالمكان التاريخي "حصن الرستاق" كوعاء للذاكرة، وخشبة مسرح للألم والحنين.

يعد الفعل المضارع "يتردد، وتئنُّ" دلالة على الاستمرارية ، وهذا يدل على أنَّ الحزن لم يكن حزناً عابراً في لحظة عابرة، بل حالة مستمرَّة تتكرر في الزمان والمكان، في حين مثَّل قوله: "لا رجل بعد عزان" أسلوباً إنشائياً يعبِّر عن مبالغة في تقدير شخص الإمام الراحل، وهذا ما أضفى على النصِّ بعداً رثائياً وبطولياً، و يمنحها شخصية الإمام قيمة رمزية عليا تتجاوز المعنى الشخصي إلى المعنى القومي، فالرمز ((يحررها بعض الشيء من العامل المنطقي المجرد إلى قوَّة أخرى)) (العبيدي، سناء سليمان، ٢٠١٦م، صفحة ٥٥)، تجعلها قوَّة معنوية حيث تنقلها من المادية إلى المعنوية، تحضر شخصية الإمام في النص السرديّ كشخصية تاريخية محورية لها تأثيرها في ذاكرة الآخرين، فاستدعاء شخصية الإمام جاءت لتأكيد أثر غيابه في الفرد والمكان، وهو جزء من البنية السردية، يكشف النصُّ عن قدرة السرد على استحضار التاريخ بشكله الإنسانيّ، وليس التاريخ المؤرخ فقط، في حين شكلت اللغة مشهداً تراجيدياً يتماهى فيه المكان مع حالات الحزن، مثَّل النصُّ بعداً جمالياً للعملية السردية، حيث يخلَّد التاريخ من خلال التأثير لا التوثيق.

تشكل الشخصية التاريخية الواقعية أهمَّ العناصر المرجعية لدى الكاتب، إذ ((يحيل هذا النوع من الشخصيات الى عوالم مألوفة ،عوالم محددة ضمن نصوص الثقافة ومنتجات التاريخ الشخصي أو الجماعي، اذ إنها تعيش في الذاكرة باعتبارها جزءاً من زمنية قابلة للتحديد)) (هامون، فيليب، ٢٠١٣، صفحة ١٤)، إذ تمثِّل تلك الشخصية حلقة وصل بين الواقع والتخييل ، كما أنَّها تمنح النصَّ عمقاً دلالياً من أجل ربطه بالسياقين الزمني والاجتماعي الذي ولدت فيهما تلك الشخصية، فلا يستطيع القارئ في هذا النصِّ السرديّ أن يمر مروراً عابراً على مشهد قبلي وإنَّما يجد نفسه أمام لوحة فنية نابضة بالتقاليد، ومحملة بالرموز تتداخل فيها الأنساق القبلية والأنساق العلمية في نسيج دقيق ومتشابك يحمل على أجنحته شخصية تاريخية ذات حضور مميَّزٍ، لذا وظف الكاتب في نصه الروائي **شيوخ لهم جذور في التاريخ العُماني** قائلاً:

((جلس في صدر مجلس الحصن الشيخان صالح بن علي الحارث شيخ الحرث، وسلطان بن محمد الحبسي شيخ الحبوس، وعلى يمينهما ويسارهما المقرَّبون من أعيان الولايتين، وليس ببعيد الشيخ الشاب الذي منحه علمه حقَّ الصدارة بين الإخوة وأبناء العمومة من مشايخ المضيبي والقابل، ينادونه الشيخ عبدالله ، الفتى السالمي الذي رفعه علمه بين شيوخ القبائل، فبدا متوهِّجاً بذاته لا بقبيلته مستمعاً، ضمن ما دار من أحاديث جمَّة إلى ما تدارسه الشيخان الحارثي والحبسي من مسائل، حتَّى إذا تحدَّثا في مسألة دينية بقي الشيخ السالمي على صمته يرهف أذنيه إنصاتاً، ولم يبدِ رأياً احتراماً لشيخيه، فما إن خرج الزائرون إلى بقعة أخرى

يؤمونها، اقترب السالمي من الشيخ سلطان، وقال له: إنَّ في المسألة نظراً ولي رأي بها)) (الرحبي، محمد بن سيف، ٢٠٢٣م، الصفحات ٧٩- ٨٠).

يبدأ المشهد الروائي بنسج خيوطه من خلال شخصياته المتعددة، واللغة السردية التي شكَّلت نسيجاً متناقضاً، فشخصية الشيوخ شكلت رمزاً مركَّباً، إذ ((استأثرت باهتمام السارد، ونالت قدراً من التميز، ويمنحها حضوراً طاغياً)) (عيوش، جعفر الشيخ، ٢٠١٥م، صفحة ١٤٥)، إضافة إلى شخصية الشاب في مجلس الكبار، وهناك فقيه صامت على مائدة السؤال ينتظر الفرصة السانحة المناسبة، لذلك فلحظة الانفراد بالشيخ سلطان ليست مجرَّد تفصيل حواريٍّ، بل هي تمثِّل لحظة فنية ترسم ملامح الشخصية للرجل العالم الذي لا يُزاحم في علمه، غير أنَّه لا يسكت على علم، بل ويعرف توقيت القول كما يعرف قيمة السكوت، هذه اللفتة تكشف عن علم عميق، وحكمة ناضجة، وثم يتمهل المشهد وينطلق من مجلس الحصن، الذي كان المكان الأنسب لترسيخ الهويَّة المكانية في قلب البيئة التقليدية العمانية، إذ يعطي للمكان قيمته الرمزية بوصفه الموضع السليم للمشورة واتخاذ القرارات، ((كونه يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث، والرؤيات السردية)) (البحراوي، حسن، ١٩٩٠م، صفحة ٢٦).

إنَّ جلوس الشيخين في الصدارة يشي بسلطة عرفية واجتماعية تعادل سلطة الحكام في المجتمعات القبلية، تبدأ اللغة السردية بمشهد سرديٍّ يكمن في طبيعة العلاقات القائمة بين هؤلاء الشخصيات والكشف عن طبائعهم النفسية والاجتماعية ، اذ قام بنسج تناقض بين الخبرة والتقدُّم في السنِ وقد مثل هؤلاء الشيوخ الكبار الذين اتكأوا على مكانتهم، بينما يتخذ الشاب مكانته الطبيعية من المجلس ضمن المنحى السلوكيّ الأخلاقي، ممَّا يشير إلى تفوقه المعنوي والعلميّ على من هم أقدم منه دون مزاحمتهم أو التطاول عليهم، إذ شكَّل التَّوتُّر الجمالي بين الهيبة الصامتة، والعلم المتكافئ الذي يشكِّل محوراً فنيًّا في النصِ، حتَّى بدأ النصُّ وكأنَّه يدور حول فكرة مركزية مفادها أنَّ العلم لا يحتاج إلى استعراض، بل إلى توقيت ولباقة.

هذا الحضور الواقعيّ داخل النصِ السَّرديّ يضفي على العمل طابعاً مزدوجاً، فهو يجمع بين الواقعي و التخيلي التَّاريخي، ممَّا منحه أصالة ورسوخاً في آن واحد، كما يلاحظ أنَّ الزمان والمكان قدَّما خدمة جليلة للبناء الفنيّ للنصِ، ((فالزمن يتكثَّف شاخصاً، ويصبح من الناحية الفنية مرئياً، ،أمَّا المكان فيصبح مشحوناً ومستجيباً لحركات الزمن والحبكة والتاريخ)) (الرويلي، ميجان، وآخرون، ٢٠٠٢م، صفحة ١٧٠)، لقد مثَّل الزمن زمناً تاريخياً مبهم التَّحديد لكنَّه يعود بنا إلى أواخر القرن التاسع عشر، أو بدايات القرن العشرين ، فالمجالس القبلية لها الصدارة في إصدار الفتاوى وأخذ الرأي والقرار، في حين مثَّل المكان رمزاً للحماية والتقليد والحكمة، حيث أنَّ وجود مجلس داخل الحصن، يعزز فكرة احترام العلم والقبيلة ويمنح النصَّ جاذبية حضارية، يظهر النصُّ لنا وكأنَّه يكتب التاريخ بلغة فنية، كما يمنح الشخصية التاريخية بعداً إنسانياً حياً، فشخصية الشيخ لا تظهر كتمثال من الزمن الماضي، وإنَّما ظهرت كرمز حيٍّ له روح تتنفس داخل النصِ، مما اعطى للسرد مساحة واسعة لتكريم العقل واحترام التقاليد، واحتضان الصمت بوصفه قمة البيان.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يتضح أن الرحبي قد نجح في توظيف الشخصيات التاريخية بطريقة تتجاوز السرد التقليدي، حيث منحها أبعادًا جديدة تتفاعل مع الحاضر وتطرح تساؤلات عميقة حول الهوية والذاكرة والتاريخ. كما أظهرت الدراسة أن هذه الشخصيات لم تكن مجرد عناصر ثانوية، بل شكلت محورًا أساسيًا في بناء الرواية وتوجيه دلالاتها. ومن خلال هذا التوظيف، استطاع الرحبي أن يحقق توازنًا بين الحقيقة التاريخية والرؤية الفنية، مما أضفى على أعماله قيمة أدبية وفكرية متميزة.

ويوصي البحث بمزيد من الدراسات التي تتناول الأدب التاريخي العربي، لما له من دور مهم في فهم الماضي واستشراف الحاضر.

References

- Ibrahim, Nabila. (١٩٨٧). Paradox. Fusul Journal, Vol. ٧, No. .٤-٣
- Abu Al-Faris, Dr. Muhammad Abdul Qadir. (١٩٩٩). The Methodology of Change According to the Martyrs Hassan Al-Banna and Sayyid Al-Qutb (Vol. ١, ed.). Tanta, Egypt: Dar Al-Bashir for Culture and Science.
- Ahmed, Madas. (٢٠٠٩). The Concept of Interpretation Among Modern Scholars. Journal of the College of Arts, Humanities and Social Sciences, No. .٤
- Asaad, Dr. Narjis Khalaf. (٢٠١٨). Intertextuality in the Novel (My Jewish Friend) by Subhi Fahmawi, Tikrit University/College of Education. Tikrit University Journal of Humanities, Vol. ٢٥, No. .٣
- Al-Bahrawi, Hassan. (١٩٩٠). The Structure of the Narrative Form: Space, Time, and Character (Vol. ١, ed.). Beirut: Arab Cultural Center.
- Al-Rahbi, Muhammad bin Saif. (٢٠١١). The Novel "The Master Passed By Here" (Vol. ١, ed.). Beirut, Lebanon: Arab Diffusion Foundation.
- Al-Rahbi, Muhammad bin Saif. (٢٠٢٣). The Novel "Spring of the Imam" (Vol. ١, ed.). Sultanate of Oman: Al-Luban Publishing Foundation.
- Al-Ruwaili, Megan, et al. (٢٠٠٢). A Guide for the Literary Critic (Vol. ٣, ed.). Casablanca, Morocco: Arab Cultural Center.
- Al-Salimi, Imam Nur al-Din Abdullah bin Hamid. (٢٠١٠). The Responses of Imam al-Salimi, supervised by Abdullah bin Muhammad bin Abdullah al-Salimi, reviewed

by Abdul Sattar Abu Ghudda (Vol. n.d.). Wilayat of Bidiyah, Sultanate of Oman: Imam al-Salimi Library.

- Al-Sanousi, Saud Abdulaziz Muhammad. (٢٠٢٢). Narrative in the Arabic Novel. Journal of Educational and Qualitative Research, No. .١٤
- Al-Ta'i, Abdullah bin Muhammad. (٢٠٠٨). The Political History of Oman (Vol. ١, ed.). Kuwait: Al-Rabeean Library for Publishing and Distribution.
- Al-Ubaidi, Sanaa Suleiman. (٢٠١٦). Character in the Short Story and Novelistic Art of Saadi Al-Malih (Vol. ١, ed.). Amman: Ghaydaa Publishing and Distribution House.
- Al-Arabi, Abdul Qader. (٢٠٢١). The Identity Conflict and the Problem of Self and Other in Nihad Reda's Novel "A Competition in Paris". Al-Qari' Journal for Literary, Critical, and Linguistic Studies, Vol. ٤, No. .٣
- Al-Nakhli, Hamid bin Muhammad bin Raziq Al-Ubaidani. (n.d.). Al-Fath Al-Mubin fi Sirat Al-Sadah Al-Busaidiyin (Vol. n.p.). Cairo: The Scientific Committee of the Encyclopedia.
- Ilyas, Jassim Khalaf. (٢٠١٠). The Poetics of the Very Short Story (Vol. n.p.). Damascus: Dar Ninawa.
- Prince, Gerald. (٢٠٠٣). Narrative Terminology (Vol. ١, ed.). (Abed Khazendar, Translators). Cairo: The Supreme Council of Culture.
- Bouazza, Mohamed. (٢٠١٠). Narrative Text Analysis: Techniques and Concepts (Vol. ١, ed.). Algeria: Al-Ikhtilaf Publications.
- Bouti, Abdelhamid. (September ٢٠٢١). The Poetics of Condensation in the Very Short Story: Ahmed Akkach's Pencil Drawing Collection. Al-Mudawana Journal, University of Lounici Ali, Vol. ٨, No. .٣
- Rabie, Mohamed Ahmed. (١٩٩٠). On the History of Classical Arabic Literature (Vol. n.d.). Amman, Jordan: Dar Al-Fikr for Publishing and Distribution.
- Zitouni, Latif. (٢٠٠٢). Dictionary of Novel Criticism Terms (Vol. ١, ed.). Lebanon: Dar Al-Nahar for Publishing.
- Slimani, Fatima. (٢٠١٢). The Historical Figure in the Algerian Novel and the Identity of Belonging, Master's Thesis. Tlemcen, Algeria: Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Languages, Abou Bekr Belkaid University.
- Sayyad, Noura. (٢٠١٩). The Image of Women in the Arabic Novel: Shadia al-Qasimi's "Al-Masab," Master's Thesis. Algeria: Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Languages, University of Ghardaia.
- Abdulrahman, Nasir Abdul-Hay Muhammad. (٢٠٢٥). Manifestations of Historical Heritage Themes in the Poetry of Bakr ibn al-Nattah, College of Arts, Tikrit University. Tikrit University Journal of Humanities, Vol. (٣٢), No. (٣), Part .١
- Aboudi, Nabila; Mubarak, Khuloud. (٢٠٢٣). Characters in the Novel "Kalifora," Master's Thesis. Algeria: Institute of Arts and Languages.
- Ayoush, Jaafar al-Sheikh. (٢٠١٥). Narrative and the Prophecy of Place (Vol. ١, ed.). Amman: Dar Ghayda for Publishing and Distribution.
- Kilito, Abdel-Fattah. (٢٠٠٦). Literature and Strangeness: Structural Studies in Arabic Literature (Vol. ٣, ed.). Morocco: Dar Toubkal.
- Ashlam, Hassan Ahmed Ali. (٢٠٠٦). The Fictional Character in the Works of Khalifa Hussein Mustafa (Vol. n.d.). Tripoli, Libya: General Culture Council.

- Mabrouk, Murad Abdul Rahman. (١٩٩٨). The Construction of Time in the Contemporary Novel (Vol. n.d.). Egypt: Egyptian General Book Organization.
- Mohammed bin Saif, Al-Rahbi. (٢٠١٧). The Novel: The Journey of Abu Zaid Al-Omani (Vol. ٣rd ed.). Sultanate of Oman: Bait Al-Ghasham Foundation.
- Murtad, Abdul Malik. (١٩٩٨). On the Theory of the Novel (Vol. n.d.). Alam Al-Ma'rifah for Culture and Arts.
- Hamon, Philippe. (٢٠١٣). Semiology of Fictional Characters, translated by Said Benkrad, introduction by Abdel Fattah Kilito (Vol. ١st ed.). Syria: Dar Al-Hiwar.
- Yaqtin, Said. (١٩٩٧). Speech and Narration: An Introduction to Arabic Narrative (Vol. ١st ed.). Beirut: Arab Cultural Center.
- See: Al-Jundi, Anwar. (n.d.). The Arab Personality in Literature and History (Vol. n.d.). Egypt: National House Press.
- See: Al-Qa'oud, Helmy Muhammad. (٢٠١٠). The Historical Novel in Our Modern Literature (Vol. ٢, ed.). Egypt: Dar Al-Ilm Wal-Iman.
- See: Ragheb, Dr. Nabil. (n.d.). Art Criticism (Vol. n.d.). Egypt: Dar Misr for Printing.
- Youssef, Amna. (٢٠١٥). Narrative Techniques in Theory and Application (Vol. ٢, ed.). Jordan: Dar Al-Fares for Publishing.